"شِعْرُ ابْنِ مَيَّادَةَ، وَأَثَرُهُ فِي الاسْتِشْهَادِ عَلَى قَوَاعِدِ النَّحْوِ العَرَبِيِّ"

د/ أحمد علي سعدالله علي

أستاذ النحو والصرف والعروض المشارك، بقسم اللغة العربية،

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة جازان،

المملكة العربية السعودية

"شِعْرُ ابْنِ مَيَّادَةَ، وَأَثَرُهُ فِي الاسْتِشْهَادِ عَلَى قَوَاعِدِ النَّحْوِ العَرَبِيِّ"

أحمد علي سعدالله علي

قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة جازان، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني : asaadallah@jazanu.edu.sa

الملخص :

هذا البحث يهتم باستقراء أثر ابن ميادة في قواعد النحو العربي، ودور شعره في الاستشهاد على القاعدة النحوية، ثم يهتم بالكشف عن سبب تفضيله على كثير ممن عاصروه من الشعراء، الذين عدَّهم النحاة مولَّدين، ولم يستشهدوا بشعرهم، محاولا الإجابة عن هذه الأسئلة التي تمثل إشكالات الدراسة:

مَن المُوَلَّد الذي لا يُعْتد بلغته في الاستشهاد؟ وهل اكتفى النحاة –فقط–بالاحتكام إلى تاريخ مَوْلِد الشاعر أو تاريخ وفاته، فحددوا زمنا يُحْظَر من جاء بعده، ويُقْبَل مَنْ كان دُونَه؟! وإن صدق الافتراض الأخير فلماذا استشهد النحاة بابن ميادة، وتركوا شعر كثير ممن عاصروه؟!

وقد جاء البحث تحت محاور ثلاثة؛ الأول: " ابن ميادة، نشأته، ولغته"، وهدفه الكشف عن أثر الأم الأعجمية في لغته. والمحور الثاني:" شواهد ابن ميادة، وأثرها في صياغة القاعدة النحوية"، وهو يُعْنَى بدراسة الشواهد التي تنسب لابن ميادة، واعتمدها النحاة في الاستشهاد، ابتداء من سيبويه، ومرورا بالمدارس النحوية المختلفة.

والمحور الثالث: موقف النحاة من الاستشهاد بشعر معاصريه، ويعنى بالوصول إلى الأسباب التي جعلت النحاة يفضلون شعره على شعر معاصريه، من أمثال بشار، وأبي نواس.

وقد شفعت محاور البحث بالنتائج، وبعدها ثبت المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: ابن ميادة – المولدون–الاستشهاد – الشواهد – المحدثون – اللحن.

The poetry of Ibn Mayada, and its effect on martyrdom on the rules of Arabic grammar.

Ahmed Ali Saadallah Ali
Department of Arabic Language, College of Arts and Humanities, Jazan University, Saudi Arabia.
Email: asaadallah@jazanu.edu.sa

Abstract :
This study is concerned with extrapolating the impact of Ibn Mayada in the rules of Arabic grammar, and the role of his poetry in deducing the grammatical rule, then addressing the reason for his preference over many of his contemporary poets, whose poems were not cited by the grammarians, in an attempt by the researcher to answer these questions that represent problems in the study.

Who is the generation whose language is not considered in martyrdom? Were the grammarians satisfied - only - to refer to the poet's birth date or the date of his death, and set a period of time that is forbidden for those who came after him, and whoever without him is accepted ?! And if the latter assumption is true, then why did the grammarians martyred Ibn Mayada, and left the poetry of many of his contemporaries ?!

The research came under three axes: The first: "Ibn Mayada, his upbringing, and his language," and his goal is to reveal the impact of the foreign mother in his language. The second axis: "The evidence of Ibn Mayada and their impact on formulating the grammatical rule." It is concerned with studying the evidences attributed to Ibn Mayada, and the grammarians adopted them in martyrdom, starting from Sebawayh and passing through the various grammatical schools.

And the third axis: the position of the grammarians on citing the poetry of his contemporaries, and it means reaching the reasons that made grammarians prefer his poetry over the poetry of his contemporaries, such as Bashar and Abu Nawas.

The research axes were accompanied by the results, and then the sources and references were proven.

Key words: Ibn Mayada - The Newcomers - Grammatical Inference - Evidence - Stutter.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، ورضوان الله على آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فلقد حاول علماء أصول النحو أن يحذوا حذو علماء أصول الحديث في كثير من مسائلهم، كضبط قياس الأصل على الفرع، وذِكْرِ أنواع القياس والعلل، وضبط رواية المسموع (النقل) ...إلخ، حتى يظن من يتتبع أثر علم الحديث في النحو أن علم أصول النحو سيخلف علما يتحدث عن الراوية نفسه، ويذكر ما له وما عليه، كما كان ذلك عند الأصوليين من أهل الحديث؛ إذ خرجوا لنا بعلم الجرح والتعديل، ليتكلم عن الراوية، ويذكر محاسنه ومعايبه.

إلا أننا لا نجد هذا عند النحويين، إذ لا وجود لمؤلفات في الجرح والتعديل لأهل الاحتجاج من الشعراء، أو لغيرهم من أهل الرواية اللغوية؛ اللهم إلا ملاحظات عارضة تأتي مخبأة في الكتب النحوية، وكتب اللغة والمعاجم؛ كقول بعضهم: إن فلانا ثقة، أو قولهم: هذا ليس بالفصيح، أو هذا مولَّد، لا ترقى لغته للاعتبار عند التقعيد، وهذه الملاحظات –على أي حال– ليس لها ذلك الظهور البيِّن الذي يميز مثيلاتها في رواية الحديث، حيث الجرح والتعديل؛ ذلك العلم المتأصل الراسخ ذو المؤلفات المستقلة، والموضوع المحدد؛ وهو الحُكْم على الرواة، المشفوع بتعليل استحسان روايتهم أو استهجانها.

ولقد ذكر علماء أصول النحو – عند حديثهم عن ضوابط الاستشهاد – أنه لا يجوز أن يُسْتَشْهَدَ بكلام المُوَلَّدِين، وبُنِيَ على أساس هذا حَظْرٌ خَفِيٌّ من جوانب شتى، مستدعٍ لأسئلة عدة.

فَمَن المُوَلَّد الذي لا يُعْتد بلغته في الاستشهاد؟ أهو من كان أحد آبائه أجنبيا؟ أم هو من خالط الأجانب وتأثر بلغتهم فقط – حتى وإن كان من أصول عربية عاربة؟! أم أن النحاة في تطبيقهم لهذا الحظر قد ارتضوا

الاحتكام إلى تاريخ مَوْلِد الشاعر أو تاريخ وفاته، فحددوا زمنا يُحْظَر من جاء بعده، ويُقْبَل مَنْ كان دُونَه؟!

والحقيقة أن موقف النحاة المتقدمين من الاستشهاد بالشعراء على قواعد العربية كان لافتا للنظر؛ ففي حين نجد المتقدمين من النحاة قد منعوا الاستشهاد بكثير ممن كانوا للفصاحة أربابا، كبشار بن برد، وأبي نواس، وأبي العلاء، نرى المتأخرين من النحاة قد ارتضوا من رواية شعر هؤلاء ما لم يرضه سلفهم، فما كان في المؤلفات النحوية الأولى محظورا بدا ذا وجود بيِّن عند المتأخرين من النحاة، واستحال ما كان مولَّدا ومُنْكَرًا وَضَعِيفًا -بعد أزمان- مقبولا حسنا، يُفَسَّر مَسْلَكُه، ويُؤَوَّل غَرِيبُه، ويُبْحَثُ له عن نظائر فصيحة يمكن حمله عليها!

ربما يقال: إن هذا ليس بغريب، فالمتقدمون أرادوا ضبط اللغة والاكتفاء بفصيحها، ففضلوا من تقدم من أهل الرواية والشعر على من تأخر من الشعراء المعاصرين لهم؛ إذ ظنوا فيهم شُبْهة التوليد واللحن والانحراف عن المستوى الفصيح.

ولكن؛ خلال هذا الموقف يأتي ذكر ابن ميادة في كتب النحو المتقدمة، مثل كتاب سيبويه، ويوضع أمام النحاة المتقدمين والمتأخرين موضع الاعتبار، عند ضبط قاعدتهم النحوية، ورسم حدودها، مع أن ابن ميادة هذا معاصر لشعراء عدَّهم النحاة مولَّدين، ورفضوا الاستشهاد بشعرهم!

بل إن بعض هؤلاء الشعراء المولَّدين ينتمون إلى أصول عربية عريقة العنصرين، في حين نجد ابن ميادة فارسي الأم -هكذا جاء في شعره-وكان يفاخر بأصله الفارسي، فلم يمنع عِرْقُه الفارسيُّ النحويين من الأخذ بشعره، ولم يحملهم على اتهام لغته بدخيل أو بلحن يحظر الاستشهاد به، أو يقيده!

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة تناولت موقف النحاة من الاستشهاد بشعر ابن ميادة، وكل ما وقفت عليه من الدراسات متعلق بشعر الرجل من جهتين؛ الأولى: جمع ديوانه وتحقيقه، فهناك: "شعر ابن ميادة؛ تحقيق: محمد نايف الدليمي" و" شعر ابن ميادة، تحقيق د. حنا جميل حداد" والثانية: جهة الدراسات الأدبية والنقدية لشعره، فمن ذلك دراسة بعنوان "الرماح بن أبرد؛ حياته وشعره" دراسة تحليلية نقدية، بجامعة أم درمان (السودان)- ٢٠١٥م، و " السخرية في شعر ابن ميادة"، بحث منشور في جامعة تكريت للعلوم الإنسانية"، وهذه الدراسات لا علاقة لها بموضوع البحث، وهذا ظاهر جليٌّ من اسمها، وتخصص باحثيها.

وهذا البحث يهتم باستقراء أثر ابن ميادة في قواعد النحو العربي، ودور شعره في الاستشهاد على القاعدة، ثم يهتم بالكشف عن سبب تفضيله على كثير ممن عاصروه من الشعراء، الذين عدهم النحاة مولَّدين، ولم يأخذوا شعرهم، أو يعتدوا به.

وبناء عليه فسوف ينسرد البحث تحت محاور ثلاثة؛ الأول: " ابن ميادة، نشأته، ولغته"، ولست معنيا في هذا المحور بتكرار ما يجده القارئ في ترجمته عند أهل التراجم، وغيرهم، وإنما بأثر الأم الأعجمية في لغته، واحتمال اعوجاج لغته عن العرب الأقحاح، أو ظهور لحن أنكره عليه معاصروه.

والمحور الثاني:" شواهد ابن ميادة، وأثرها في صياغة القاعدة النحوية"، وهو يُعْنَى بدراسة الشواهد التي اعتمدها النحاة ابتداء من سيبويه، ومرورا بالعصور والمدارس النحوية المختلفة؛ ليتبين أثر شعر الرجل في القواعد النحوية في كل مرحلة من مراحل النحو، كما يتبين إجماع النحاة في عصور التأليف المختلفة على الاستشهاد بشعره.

والمحور الثالث: موقف النحاة من الاستشهاد بشعر معاصريه، ويعنى بالوصول إلى الأسباب التي جعلت النحاة يفضلون شعره على شعر بشار

وأبي نواس، وهما من أهل العربية، وهما من معاصريه، وممن كانوا يعيشون في بيئات عربية، كتلك التي كان يعيش ابن ميادة فيها.

ثم يردف هذا بنتائج البحث، وبعدها ثبت المصادر والمراجع، وعلى الله قصد السبيل.

المحور الأول: " ابن ميادة، نشأته، ولغته":

هو " رمَّاحُ بن أَبْرَد بن ثوبان بن سراقة بن سليمان بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيص بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ... أبو شرحبيل، ويقال أبو شراحيل المُرِّيُّ"((١

وليس في كتب التراجم ما يحدد سنة ميلاده، غير أن كثيرا ممن ترجموا له يذكرون أنه من شعراء الدولتين؛ الأموية والعباسية، وهو ما يعني أنه عُمِّرَ طويلا.

وهذا النسب–الذي تقدم– أصيل في الفصاحة، تفرع عنه كثير من أربابها، كالحارث بن عوف المري الغطفاني؛ الذي دفع ديَّات داحس والغبراء، والنابغة الذبياني؛ الشاعر المعروف، وهرم بن سنان أحد أجواد العرب، وساداتهم، وفصحائهم، وغير هؤلاء.

ورغم هذه العراقة في النسب فقد كان أبوه (أبرد) وضيعًا في قومه، يرعى إبلهم، و" كان إخوة أبيه (العوثبان وفريص وناعصة) ظرفاء، وكان العوثبان وفريص شاعرين"((٢

١() – تاريخ دمشق–أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)– المحقق: عمرو بن غرامة العمروي – الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م: ١٨ / ٢٠٠

٢() – ينظر جمل من أنساب الأشراف –أحمد بن يحيى البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ) –تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي–دار الفكر – بيروت–الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ –١٩٩٦ م: ١٣ / ١٢١

ورث ابن ميادة الشعر والفصاحة –إذًا–كابرا عن كابر؛ ذلك أن أمَّ بني ثريان هي سلمى بنت كعب بن زهير بن أبي سُلْمَى، وابن ميادة – كما قدمنا– من قبائل مرة بن عوف، وإلى هذا النسب ينتمي النابغة الذبياني؛ حكم سوق عكاظ، وقد تقدَّم أن عميه العوثبان وفريص كانا شاعرين.

أثر عجمة أمه (ميادة) في لغته:

اختلفت روايات أهل التراجم والطبقات والأنساب في شأن ميادة هذه، وكثرت حكاياتهم حول نكاح أبرد لها؛ ورجح بعضهم" أن ميادة لما ابْتيعَتْ قُدم بها فوُهبت للأبرد، فأولدها"((١

"وكانت ... بربرية، وقيل صَقْلَبِيَّة، وكان ابن ميادة يزعم أنها فارسية، وإنما سميت بذلك لأن رجلا نظر إليها وهي ناعسة، تميل على بعيرها، فقال: ما هذه؟ فقالوا: اشتراها بنو ثريان فقال: وأبيكم إنها لميادة، تميل على بعيرها، فغلب عليها ميادة"((٢

والواضح من كلام من ترجموا لابن ميادة أن انتماءه كان لعشيرة أبيه، بل إن كثيرا ممن ذكروا أخباره – ومنهم ابن المعتز–أوردوا أنه كان يضرب أمه في صباه، ويقول:

اعرنزمي مياد للقوافي * واستسمعيهن ولَا تخافي**

يريد أنه سيهجو الناس، فيهجونه، ويذكرون أمه".(٣

والذي نستطيع أن نبنيه على هذا أن الأم لم تكن بذات أثر غالب عليه؛ وبخاصة في اللغة؛ فقد كان متطلعا من صباه إلى هجاء الشعراء، ومحاجتهم، وهو يعرف نقائصه التي سيقصدونها عند مبادرتهم له بالهجاء، أو ردهم على هجائه وسبقه، فيرى بحدسه أنه سيُقَذَف من جانب الأم المملوكة هذه،

١() – ينظر المرجع السابق: ١٣ / ١٢٢

-٢ينظر تاريخ دمشق () 200 / 18 :

٣() – ينظر طبقات الشعراء–عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي (المتوفى: ٢٩٦هـ) –المحقق: عبد الستار أحمد فراج –الناشر: دار المعارف – القاهرة –الطبعة: الثالثة: ١٠٦

وهذا يدعوه إلى الانسلاخ قدر ما يستطيع من صفاتها التي ربما تنعكس عليه، ولاسيما اللغة التي هي أداته وسلاحه.

ولا شك أن للأمهات أثرًا على أطفالهن في اكتساب اللغة يبدأ من اكتساب أصواتها، وكلماتها، ثم جملها وتراكيبها، فالأمهات جزء من الواقع اللغوي المحيط المُوَرِّث للغة عند أطفالهن، وهو الأمر الذي جعل بعض أهل اللغة والفقه يعرفون المولَّد بأنه من كان أحد أبويه أعجميا، ولكن هذا لا ينفي أن الإنسان المكتسِب لهذه اللغة قادر على التطوير، وتطويع اللغة المسموعة نفسها لإرادته، واختياراته، والترجيح بين المسموعات اللغوية، ومحاكاة أفضلها عند النطق، والإبداع الكلامي؛ وهذا ما أكده علماء اللغة المحدثون، ودلت عليه تجاربهم. (١)

ولا نجد واحدا من أهل اللغة أو أهل التراجم أو ممن حكوا أخبار ابن ميادة – على كثرتهم–يشك في لغة الرجل، أو يرصد اعوجاجا فيها أو لحنا، وهو ما يدل دلالة قاطعة على أن أثر الأم في هذه الناحية كان ضعيفا جدا عليه، وأن هذا الضعف كان سببه اعتزاز ابن ميادة بقوم أبيه، وإنزاله أمه منزلة الأَمَة التي لن يأتيه من ورائها إلا السب والنقيصة، وهذا ما يفسر سبب قوله لها: "اعرنزمي مياد للقوافي".

كل هذا دفعه إلى أن يبرأ مما فيها من نقائص قد تكون سببا في هجائه، ولولا غلبة عَلَمِها (ميادة) عليه، ووقوفه موقف المستقْبِل لأن يُنادَى به فقط لثار عليه أيضا، أو لحاول أن يتجمَّل بغيره.

ويبدو أن غلبة النسبة إلى أمه قد سببت للرجل الذي كان يسعى إلى الصدارة والرياسة في قومه إشكالا، جعله يحاول أن يُشيع في الناس نسبتها إلى قوم ذوي شأن وتاريخ وحضارة، فأشاع أن أصولها فارسية، وإن كان كثير من المؤرخين يذكرون أنها بربرية أو صقلبية.

---

١)) – ينظر بنيان اللغة – نعوم تشومسكي – ترجمة : إبراهيم الكلثم – جداول للنشر والترجمة – بيروت – لبنان– الطبعة الأولى – ٢٠١٧ م ، ص ٨٠: ٨٤.

كل هذا يشي لنا بشيء واحد فقط، هو ما عليه التعويل هنا، وهو أن هذا الرجل لم يكن ليكتسب لغته – وهي سر علوه بين قومه – من مصدر يسوق إليه النقد والاتهام، هذا إنْ لم نقل بأن الأم نفسها كانت تتكلم لغة القوم –الذين ملكوها–بطلاقة؛ لأن القول بهذا ضرب من الافتراض الذي ينقصه الدليل.

ابن ميادة إذًا قد اكتسب اللغة الأولى من الغطفانيين، وهم قوم أبيه، وهم أهل فصاحة وبلاغة وشعر، وبرع في الشعر حتى قيل عنه: إنه أشعر الغطفانيين في الجاهلية والإسلام، وقال بعضهم: إنه كان خيرا لقومه من النابغة الذبياني.

موقف رواة اللغة وناقليها من شعره:

قيل: إن ابن ميادة لما نشأ نجيبا كيِّسا، أقر به أبوه (أبرد)، وعلا شأنه في قبيلته لفصاحة عُرِفَتْ فيه.

وقد أجمع الناس على فصاحته، وصحة لغته، وموافقتها أساليب الفصحاء، والعرب الأقحاح، ولقد جاء في طبقات الشعراء لابن المعتز قوله: "وكان ابن ميادة جيد الغزل، ونمطه نمط الأعراب الفصحاء، وكان مطبوعا.... (و) قد جمع إلى اقتدار الأعراب وفصاحتهم، محاسن المحدثين، وملحهم"(.[1])

وَذَكَرَ لغته كثير من أهل الأخبار، فرووا أنه كان فصيحا، ينسج على منوال المتقدمين من العرب الخلص، ويبعد عن لحن المولدين، ومن خالط الأعاجم.

ولقد رضي رواة العربية وناقلوها الأُوَل لغة ابن ميادة، واستشهدوا بشعره على اللغة ومعانيها، وليس منهم من يستهجنها، أو يضعها موضع احتمال اللحن والخطأ والدخيل، وليس أدل على ذلك من استشهاد أبي زيد في

---

[1] اطبقات الشعراء () 106 :

النوادر بشعره–وإن لم يصرح بنسبته له في كتابه–فمن ذلك قوله في رواية (قَرَب) والاسم والمصدر منها، وكونها بفتح عين الكلمة، يقول: "وقربت هي تقرب قَرَبًا، وقال الراجز:

لتَقْرُبِنَّ قَرَبًا جُلْذِيًّا * مَا دَامَ فِيهِنَّ فَصِيلٌ حَيًّا "((١**

والراجز المقصود هنا هو ابن ميادة؛ فالبيت له، وهو من الشواهد التي سيأتي ذكرها.

وليس أبو زيد وحده هو من أقر لغة ابن ميادة، ورواها مستشهدا على فصيح اللغة وصحيحها، فهذا الأصمعي يروي شعر ابن ميادة مستشهدا به على بعض غريب المفردات، فمن ذلك قوله في كتابه "خلق الإنسان":" وفي الصدر الثديان، وفيهما الحلمتان، وبعض العرب يقول لهما القُرَادَان، يقال للرجل: إنه لحسن قُرَاد الصدر، وقبيح قُرَاد الصدر، قال ابن ميادة يمدح بعض الخلفاء:

كأنّ قُرادَيْ زَوْرِه طَبَعتْهُما... بِطِينٍ مِنَ الجُوْلان كُتَّابُ أعْجَمَا ((٢

---

١)) النوادر في اللغة – أبو زيد الأنصاري – تحقيق د. محمد عبد القادر أحمد – دار الشروق – الطبعة: الأولى– ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م: ٥١٢، والبيت من الرجز لابن ميادة في ديوانه ، ينظر شعر ابن ميادة – جمعه وحققه د. حنا جميل حداد– راجعه : قدري الحكيم – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق – ١٤٠٢= ١٩٨٢ م، ص ٢٣٧؛ وخزانة الأدب عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ)تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون– الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة–الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م: ٤/ ٥٩، ٩/ ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤؛ ٣٣؛ ولسان العرب– ابن منظور الأنصاري الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)– الناشر: دار صادر – بيروت– الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ : ٣/ ٤٨١ (جلذ)، ١٥/ ٣٧٦ (هيا).

٢ –() خلق الإنسان – للأصمعي– ضمن منشورات (الكنز اللغوي في اللسن العربي) تعليق : د. أوجست هفنر – المطبعة الكاثوليكية – بيروت– ١٩٠٣ م : ٢١٧، والبيت من الطويل، في ديوانه ص ٢٥٥ (ضمن الأبيات التي تنسب إليه وإلى ملحة الجرمي ، أو عدي بن الرقاع)، والأصمعي في كتابه المستشهد به ينسب البيت إلى ابن ميادة، وقرادي زوره: يقصد بها حلمتي ثدييه، والجولان: موضع في الشام، طينه ضارب إلى السواد، وكتاب أعجم، يريد بها كتاب الروم أو الفرس، وهو يصف قراديه بالصغر.

واستشهد بلغته وشعره من تقدم من أئمة تأويل القرآن العظيم وتفسيره، فضلا عمن تأخر، ومنهم أبو عبيدة (ت: ٢٠٩ هـ) صاحب مجاز القرآن، إذ يفسر (صرصرا) في قوله تعالى " فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا "[١] بالصوت العاصف، ثم يقول: "قال ابن ميّادة :

أَشَاقَكَ المَنْزِلُ والمَحْضَرُ ... أَوْدَتْ بِهِ رَيْدَانَةٌ صَرْصَرُ"[٢]

واستشهد ابن قتيبة بشعر الرماح أيضا في غريب الحديث؛ إذ يقول: " والمُتَفَاجُّ الَّذِي يفتح مَا بَين رجلَيْهِ ليبول؛ يُرِيد أَنه مخصب فِي مَاء وَشَجر، فَهُوَ لَا يزَال يتفاجُّ للبول سَاعَة بعد سَاعَة؛ وَذَلِكَ لِكَثْرَة مَا يشرب من المَاء.

وَقَوله: "يتَنَاوَل من أَطْرَاف الشّجر" يُرِيد: أَنه فِي مرعى مخصب، فَهُوَ شبعان، وَلَيْسَ يرْعَى، إِنَّمَا يستطرف ويصيب الشَّيْء بعد الشَّيْء، وَفِي نَحْو هَذَا الْمَعْنى قَول ابْن ميادة:

إِنِّي امْرُؤٌ أعْتَفِي الحَاجَاتِ أَطْلُبُهَا ... كَمَا اعْتَفَى سَنِقٌ يُلْقَى لَه العُشُبُ "[٣]

واستشهد به من أهل الحديث المتقدمين أيضا الخطابي؛ ولقد ظهر ذلك جليا في كتابه غريب الحديث، إذ صرح فيه باسم ابن ميادة، ونسب إليه

١() -سورة فصلت: ١٦

٢ -() مجاز القرآن – المؤلف: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (المتوفى: ٢٠٩- المحقق: محمد فواد سزگين – مكتبة الخانجي – القاهرة- ١٣٨١ هـ: ٢/ ١٩٦، والبيت من السريع، وبعض المصادر ترويه بتضعيف الراء في قافيته (ينظر الحجة للقراء السبعة – الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ) -المحقق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي -راجعه ودققه: عبد العزيز رباح -أحمد يوسف الدقاق – دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت -الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ -١٩٩٣م:٤/٣٦)

--()٣غريب الحديث- المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) – المحقق: د. عبد الله الجبوري – مطبعة العاني – بغداد -الطبعة: الأولى، ١٣٩٧: ١/ ٣٥٢، والبيت من البسيط،، لابن ميادة في ديوانه ص: ٦٠ ،وفي الأغاني – لأبي الفرج الأصفهاني – تحقيق : سمير جابر – دار الفكر – بيروت – الطبعة الثانية :٢/ ٢٩٩ ،ومعجم الأدباء – ياقوت الحموي -تحقيق : إحسان عباس – دار الغرب الإسلامي- بيروت – الطبعة الأولى – ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣م 3/1310:

البيت في خمسة مواضع([1])، مفسرا به بعض ما يشكل من غريب الحديث، ولغته.

وأهل المعاجم مثل من سبقهم تجاه ابن ميادة وشعره، فلا نكاد نجد معجما يخلو من شعره إلا قليلا، وليس أدل على عدِّهِم الرجل ممن يوثق بعربيتهم من استشهاد الخليل في معجمه العين بشعر ابن ميادة، ومن ذلك قوله: " وأمّا قول ابن ميّادة:

وَأَعْمَدُ مِنْ قَوْمٍ كَفَاهُمْ أَخُوهُمُ***([2]

فإنهُ يقول: هل زدنا على أن كفينا إخواننا؟"([3]

ومثل هؤلاء أولئك الذين خصصوا كتبهم لرصد غريب لغة العرب، فهم قد استشهدوا بشعر ابن ميادة على غريبهم هذا، ومنهم –مثلا–كراع النمل في كتابه المنتخب من غريب كلام العرب، فمن ذلك استشهاده على مجيء حرف الجر (على) بمعنى (عن) بقول ابن ميادة:

١()– ينظر غريب الحديث –المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨ هـ)
المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي –خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي –الناشر: دار الفكر – دمشق –عام النشر: ١٤٠٢ هـ –١٩٨٢ م: ١/ ١٤٧، ١٥٩، ٥٨٤ و٢/ ١٣٠، ٢٣٢ و٣/ ٩٨

٢ () – صدر بيت من الطويل، وعجزه قوله: "صِدَامَ الأَعَادِي حين فُلَّتْ نُيوبُها"، وهو لابن ميادة في ديوانه ، ص : ٧٩، وقد استشهد بهذا البيت غير واحد من المتقدمين في شتى العلوم، وممن استشهد به منسوبا إلى ابن ميادة الخطابي في معالم السنن (شرح سنن أبي داوود)– المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ) – الناشر: المطبعة العلمية – حلب –الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م: ٢٩٩/٢، وابن فارس في الصاحبي (الناشر: محمد علي بيضون– الطبعة الأولى ١٤١٨هـ–١٩٩٧م: ٣٧، والأزهري في تهذيب اللغة– المحقق: محمد عوض مرعب–الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت– الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م–:٢/ ١٥٠، والخليل في كتاب العين– المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي –الناشر: دار ومكتبة الهلال: ٢/ ٥٩، وابن منظور في اللسان: (ع–م–د)، وابن سيدة في المحكم –تحقيق:د. عبد الحميد هنداوي –الناشر دار الكتب العلمية – ٢٠٠٠م:(ع–م–د):٣٧/٢، والمخصص– تحقيق : خليل إبراهم جفال– دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤١٧هـ ١٩٩٦م–الطبعة : الأولى: ٤٤/٤، وغيرهم.

٣() –كتاب العين: ٢/ ٥٩

وَمَا هَجْرُ لَيْلَى أَنْ تَكُونَ تَبَاعَدَتْ * عَلَيْكَ وَلَا أَنْ أَحْصَرَتْكَ شُغُولُ**((1

أي تباعدت عَنْكَ، وقد استشهد كراع النمل بابن ميادة وشعره في كتابه المذكور في مواضع أخرى((2

هذا، وقد اكتفت الدراسة هنا بمن تقدم من أهل هذه العلوم، فإنما يكون التعويل على من تقدم منهم؛ لإحكام الضبط العلمي عنده للغة ورواتها، فإن ممن تأخر قومًا لا يجدون حرجًا من الاستشهاد بشعر بعض المولدين، ومن في لغته نظر.

المحور الثاني:" شواهد ابن ميادة، وأثرها في صياغة القاعدة النحوية"

حظي شعر ابن ميادة بالاستشهاد النحوي في مراحل التأليف الأولى، فاسم ابن ميادة وشعره مسطران في كتاب سيبويه، وفي الكتب النحوية اللاحقة له.

أما في الكتاب فقد صرح سيبويه باسمه في موضعين؛ أولهما: عند ذكره لما ينتصب من المصادر على إضمارِ الفعل غير المستعمل وإظهاره، قال سيبويه: " وذلك قولك: سَقيًا وَرَعيًا، ونحو قولك: خَيْبَةً، ودَفرًا، وجَدْعًا وعَقْرًا، وبؤسًا، وأُفَّةً وتُفَّةً، وبُعْدًا وسُحْقًا. ومن ذلك قولك: تَعْسًا وتَبًّا، وجُوعًا " وجُوسًا ". ونحوُ قول ابن مَيّادة:

تَفاقَدَ قَوْمِيْ إِذْ يَبِيْعُونَ مُهْجَتِي * بِجَارِيَةٍ بَهْرًا لَهُمْ بَعْدَهَا بَهْرَا.**((3

-()1ينظر المنتخب من غريب كلام العرب –المؤلف: علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل» (المتوفى: بعد ٣٠٩هـ) –المحقق: د محمد بن أحمد العمري –الناشر: جامعة أم القرى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي) –الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م: ٦١١/١، والبيت من الطويل، واستشهد به من المتقدمين أيضا ابن أبي حاتم (الرازي)(ت٣٢٧هـ) في تفسيره- تحقيق:: أسعد محمد الطيب –الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية –الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ 11/208 :

٢()- ينظر المنتخب: ١/ ٧٠٧

- ()٣البيت من الطويل، وهو لابن ميادة في ديوانه ص ١٣٥؛ وإصلاح المنطق- لابن السكيت – تحقيق : أحمد محمد شاكر و عبدالسلام محمد هارون- دار المعارف – القاهرة – الطبعة الرابعة – ١٩٤٩ م : ١٣٠؛ والأغاني: ٢/ ٢٣٧.

أى تبًّا."((١

والملاحظ أن ما ينتصب من المصادر على إضمار الفعل له شواهده الكثيرة عند أهل الفصاحة القدامى، وسيبويه ومن نقل عنهم لا يعدمون إيجاد أمثال ونظائر يستشهدون بها على قاعدتهم هذه من كلام من تقدم من الجاهليين، أو شعراء صدر الإسلام، كقول المخبل السعدي وهو من مخضرمي الجاهلية والإسلام:

يا زِبْرِقانُ أخَا بَنِي خَلَفٍ ... ما أنتَ وَيْلَ أبِيك والفَخْرُ((٢

وإن استشهاده بابن ميادة – رغم توفر النظائر القديمة الفصيحة–لدليل واضح على أنه ينزل ابن ميادة منزلة من تقدم من شعراء الجاهلية وصدر الإسلام.

وسيبويه إذ يستشهد بهذا يذكر له نظائره، فيجعل نظيره قول غيره:

ثمَّ قالوا تُحِبُّها قلتُ بَهْرًا ... عَدَدَ النَّجْمِ والحَصَى والتُّرابِ((٣

ولم ينسب هذا البيت لصاحبه في الكتاب، وهو لعمر بن أبي ربيعة الشاعر المخزومي المعروف، وقد قدم سيبويه بيت ابن ميادة في الاستشهاد على بيت ابن أبي ربيعة، ونسب بيت ابن ميادة إلى قائله، ولم ينسب بيت ابن أبي ربيعة إليه، فكأنه يقدم ابن ميادة في الاستشهاد على ابن أبي ربيعة.

ولقد صرح سيبويه باسم ابن ميادة في موضع آخر من كتابه، وهو في هذا الموضع يعد ابن ميادة من العرب الموثوق بعربيتهم، فقد جاء في باب

-١كتاب سيبويه – تحقيق: عبد السلام هارون –الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة–الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ –١٩٨٨م() 1/311:

٢() – البيت من الكامل ، وهو للمخبل السعدي في شرح أبيات سيبويه – للسيرافي –تحقيق: الدكتور محمد علي الريح هاشم –راجعه: طه عبد الرءوف سعد– الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر–عام النشر: ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م: ١/ ١٤٤، ٢٣٩؛ ولسان العرب ١١/ ٧٤٠ (ويل).

٣ ()–البيت من الخفيف، وهو لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه؛ ينظر : شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي – تأليف : محمد محيي الدين عبدالحميد –دار الأندلس – الطبعة الرابعة – ١٩٨٨م: ٤٢٣ .

"ما يجرى عليه صفةُ ما كان من سببه، وصفة ما التبس به، أو بشيء من سببه، كمجرى صفته التي خَلصتْ له" يقول سيبويه:" هذا ما كان من ذلك عملا؛ وذلك قولك: مررتُ برجلٍ ضاربٍ أبوه رجلا، ومررتُ برجلٍ ملازمٍ أبوه رجلا، ومن ذلك أيضا: مررت برجل ملازم أباه رجلٌ، ومررت برجل مخالط أباه داءٌ. فالمعنى فيه على وجهين: إن شئت جعلته يلازمه ويخالطه فيما يُستقبل، وإن شئت جعلته عملا كائنا في حال مرورك. وإن ألقيتَ التنوينَ وأنت تريد معناه جرى مثله إذا كان منونا"((١

وبعد أن شرح سيبويه مراده من هذا الباب، ووضح كيف يستوي التنوين وعدمه، إذا كان التنوين محذوفا على نية إبقائه (حُذف تخفيفا للفظ فقط) – طفق يعلل ذلك بقوله:" ولو أن هذا القياس لم تكن العرب الموثوق بعربيتها تقوله لم يُلتفت إليه، ولكنا سمعناها تنشد هذا البيت جرًّا، وهو قول ابن ميادة المُرّيّ، من غَطَفان:

وارتَشْنَ حِيْنَ أَرَدْنَ أَنْ يَرْمِيْنَنَا * نَبْلًا بِلَا رِيشٍ وَلَا بِقِدَاحِ**

وَنَظَرْنَ مِنْ خلَلِ الخُدُورِ بِأَعْيُنٍ * مَرْضَى مُخَالِطِهَا السّقَامُ صِحاحِ.**

وسمعنا من العرب من يرويه ويروى القصيدة التي فيها هذا البيت، لم يلقنه أحدٌ هكذا"((٢

فكان ابن ميادة عنده من العرب الموثوق بعربيتهم، حيث جاء في البيت قوله (مخالطها) صفة لـ (أعين)، والموصوف نكرة، والصفة باقية على تنكيرها، فالتنوين مراد – وإن كان محذوفا–والفعل لسبب الموصوف لا للموصوف نفسه.

والذي أفهمه من قول سيبويه هذا شيء آخر يتعلق بهذا البحث؛ إذ إن كلامه يومئ إلى أنه لم يرَ ابن ميادة، ولم يسمع منه شعرا، ففي قول سيبويه إيماءة إلى أن شعر ابن ميادة وصله عن طريق رواته، لا عن طريق الشاعر

---

١ () – كتاب سيبويه: ٢/ ١٩

٢() –نفسه: ٢/ ٢٠

نفسه، هذا ما يُفْهِمُه قوله: سمعنا من العرب من يرويه ويروي القصيدة التي فيها هذا البيت ... إلخ"، والراوية الذي سمع منه البيت أيضا غير مُتَّهَم عنده في عربيته ولا في نقله، وهذا ما يُفْهِمُه قوله: " لم يلقنه أحد" إذ تعني أن الراوية الذي أوصله لسيبويه سمعه من قائله (ابن ميادة)، ثم نقله إليه (دون أن يلقنه أحد).

ولقد ذكر سيبويه شعر ابن ميادة مستشهدا به في كتابه دون أن يصرح باسمه، أو ينسب إليه البيت في مواضع كثيرة من الكتاب، منها –على سبيل المثال–قوله في " باب "تخبر فيه عن النّكرِة بنكرة" حيث جاء في آخر هذا الباب قوله: "... وجميعُ ما ذكرت لك من التقديم والتأخير " والإلغاء والاستقرار عربي جيّد كثير، فمن ذلك قوله عزّ وجلّ: " وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ"[1]. وأهل الجَفَاء من العرب يقولون: ولم يكن كفوًا له أَحدٌ، كأنهم أخّروها حيث كانت غيرَ مستقرَّة. وقال الشاعر:

لَتَقْرُبِنَّ قَرَبًا جُلْذِيًا * مادامَ فِيهِنَّ فَصِيلٌ حَيًا**

فقدْ دَجا اللَّيلُ فَهِيًّا هِيًّا"(([2]

وموضع الاستشهاد هنا قول ابن ميادة: " مادام فيهن فصيل حيا" حيث فصل بالجار والمجرور (فيهن) بين (ما دام) واسمها (فصيل).

ويلفت النظر قول سيبويه في وصف أولئك الذين يقدمون الظرف أو الجار والمجرور ليفصل بين الناسخ الفعلي واسمه بـــــ (أهل الجفاء)، وأهل الجفاء هم أهل البداوة، وهم العرب العاربة، الذين ترقى لغتهم إلى درجة عالية من مراتب الاستشهاد النحوي، لأن البداوة منعت الاحتكاك بالأجنبي وسماع لغته، وهو الأمر الذي يُبْقِي اللغة على فصاحتها الأولى، وهو يجعل شعر ابن ميادة من لغة هؤلاء، ويعده شاهدا على هذا الطابع اللغوي.

١– سورة الإخلاص))- 4 :

٢كتاب سيبويه: ١ / ٥٦، والبيت قد تقدم تخريجه() - .

وإن كان سيبويه قد لفت النظر في هذا البيت إلى تقدم شبه الجملة (فيهن) على اسم (ما دام) فقد تطرق غيره من النحويين إلى رصد الفارق الدلالي بين حذف شبه الجملة، وذكره هنا، قال المبرد في المقتضب: "فقد أفادك معنى بقوله فِيهِنَّ، ولَو حذف فِيهِنَّ لَكَانَ هَاهُنَا معنى آخر؛ وَهُوَ معنى الْأَبَد، كَقَوْلِك: لَا أُكَلِّمك مَا طَار طَائِر"([1]

ومن المواضع التي استشهد فيها سيبويه بشعر ابن ميادة دون تصريح باسمه أو نسبة البيت له قوله في(باب ما ينتصب من المصادر لأنه حال صار فيه المذكور):" وقد يَنصب أهلُ الحجاز في هذا الباب بالألف واللام، لأنهم قد يتوهمون في هذا الباب غيرَ الحال، وبنو تميم كأنهم لا يَتوهّمون غيرَه، فمن ثَمّ لم يَنصبوا في الألف واللام، وتركوا القُبْحَ؛ فكأنَّ الذى تَوهّم أهلُ الحجاز البابُ الذى يَنتصب لأنه موقوعٌ له، نحوَ قولك فعلتُه مَخافةَ ذلك، وذلك قولهم: أَمّا النُّبْلَ فنبيلٌ، وأمّا العقلَ فهو الرجلُ الكاملُ، كأنّه قال: هو الرجلُ الكاملُ العقلَ والرأيَ، أي للعَقلِ والرأيِ، وكأنّه أجاب مَنْ قال: لِمَه؟ وعلى هذا الباب فأَجْرِ جميعَ ما أَجريتَه نكرةً حالا إذا أدخلتَ فيه الألف واللام. قال الشاعر:

أَلا ليت شِعْرِى هل إلى أُمِّ مَعْمَرٍ * سَبيلٌ فأَمّا الصَّبْرَ عنها فلا صَبْرَا**([2]

وأَمَّا بنو تميم فيرَفعون لِما ذكرتُ لك، فيقولون: أَمّا العلمُ فعالمٌ، كأَنه قال: فأَنَا أو فهو عالمٌ به"([3]

وإذا عُرِفَ أن البيت لابن ميادة يكون، وسيبويه يستشهد به على مثل هذا الطابع الأصيل في لغة الحجازيين، وقد بدا مغايرا للطابع اللغوي عند غيرهم من العرب (بني تميم) تبين أن ابن ميادة في الاستشهاد لا غبار عليه،

١() – المقتضب –محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ) –المحقق: محمد عبد الخالق عضيمة–عالم الكتب. – بيروت: ٤/ ٩١

٢()–البيت من الطويل، وهو لابن ميادة ديوانه ص ١٣٤، وخزانة الأدب: ١/ ٤٥٢؛ وشرح أبيات سيبويه: ١/ ٢٦٩، ٢٧١.

- ٣كتاب سيبويه () 386 / 1 :

ولا شبهة في أن لغته فصيحة صحيحة صحة لغة المتقدمين عليه من الحجازيين؛ جاهليين كانوا أو إسلاميين.

ومن المواضع التي استشهد بها سيبويه بشعر ابن ميادة دونما نسبة إليه قوله: " وقد جعل بعض الشعراء ثماني بمنزلة حذارٍ، حدثني أبو الخطَّاب أنَّه سمع العرب ينشدون هذا البيت غير منوَّن، قال:

يَحْدُو ثَمَانِيَ مُولَعًا بِلِقَاحِهَا ... حَتَّى هَمَمْنَ بِزَيْغَةِ الإِرْتَاجِ"((١

وفي هذا النص دليل قاطع على أن الاستشهاد بابن ميادة لم يكن حكرا على سيبويه، ولم يكن سيبويه أول السالكين لمسلكه، وإنما كان هذا شأن من تقدمه من النحاة من شيوخه وأساتذته، وقد تقدم القول عن أن الخليل أورد شواهد عدة تعزى إلى ابن ميادة، وها هو سيبويه يقر بأن الأخفش الكبير (أبا الخطاب) كان يروي شعر ابن ميادة، ويستشهد به على قواعد العربية، وأنه قد رضي الشاهد –وإن لم يسمعه من صاحبه الرئيس–مادام من يرويه عنه العرب الثقات، ومن رضي البيت شاهدا على العربية من رواته، فهو يرضاه ويقبله عن قائله ومؤلفه دون احتراز من باب أولى.

والشاهد في البيت أنه لم ينون ثماني، ومنعها من الصرف.

"قال أبو علي: توهم هذا الشاعر أن الألف في (ثَماني) التي هي عوض من إحدى ياءي النسب ألف جمع، لما رأى أول الحرف مفتوحًا، ورأى بعد الألف حرفين؛ كما أن الأول من (مَفاعِل) وحذارِ مفتوح، وبعد الألف في كل واحد منهما حرفان، وليس كذلك، إنما الألف في (ثَمانٍ) لما قلنا، وفي (حَذارِ) للجمع(."((٢

١() --كتاب سيبويه: ٣/ ٢٣١، والبيت من الكامل، وهو لابن ميّادة في ديوانه ص ٩١.

٢() – التعليقة على كتاب سيبويه–الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ) –المحقق: د. عوض بن حمد القوزي –الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ –١٩٩٠م: ٣/ ٥٦

وقد جاء في الكتاب استشهاد بشعر ابن ميادة الثابت في ديوانه، ثم إن البيت قد جاء في الكتاب منسوبا لغير ابن ميادة؛ ومن ذلك قول سيبويه:" ومما جاء في الشعر، فيه الاسم، وفُرّق النعتُ، وصار مجرورًا قوله، " وهو رجل من باهِلَة ":

بَكَيتُ وما بُكَا رَجُلٍ حَلِيمٍ * على رَبْعين مسلوبٍ وبالِ"((1**

فنسب سيبويه البيت لرجل من باهلة، واستشهد به على القاعدة، ونسبه غيره إلى ابن ميادة، والبيت موجود في ديوانه.

الاستشهاد بابن ميادة بعد كتاب سيبويه:

نقل النحاة بعد سيبويه الشواهد التي استشهد بها من شعر ابن ميادة، وزادوا في الاستشهاد بشعره، فأضافوا شواهد لا وجود لها في كتاب سيبويه، وهي من شعر الرماح بن أبرد (ابن ميادة)، وهم في ذلك يتبعون المنهجين اللذين اتبعهما صاحب الكتاب من قبل، فتارة يصرحون بأن البيت للرماح، وتارة يذكرون البيت، ويستشهدون به دون نسبته إليه.

وإذا بدأنا بنحاة الكوفة – إذ كان سيبويه نموذجا لنحاة البصرة– وجدناهم قد استشهدوا بشعر الرماح بن أبرد، فالفراء يستشهد بشعره على بعض خصائص العرب التي تقِلُّ في كلامهم؛ مثل: إدخال (أل) على العَلَم الذي يمنع من الصرف، قال في معاني القرآن: " لا تكاد العرب تدخل الألف واللام فيما لا يُجْرَى، مثل (يزيد ويعمر) إلا فِي شعر، أنشد بعضهم:

وَجَدْنَا الوليد بن اليزيد مباركًا * شديدًا بَأحْنَاء الْخِلافَةِ كاهِلِه((2**

وإنَّما أَدْخل فِي يزيد الألف واللام لَمَّا أدخلها فِي الوليد. والعربُ إِذَا فعلت ذَلِكَ فقد أمسَّت الحرف مدحًا".(3

---

١ () – كتاب سيبويه: ٤٣١/١، والبيت من الوافر، وهو لابن ميادة في ديوانه ص ٢١٤.

٢()–البيت من الطويل، وهو لابن ميادة في ديوانه ص ١٩٢؛ وخزانة الأدب: ٢/ ٢٢٦؛ ولجرير في لسان العرب: ٨/ ٣٩٣ (وسع)، وليس في ديوانه.

٣() –معاني القرآن –المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ) –المحقق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي –الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر –الطبعة: الأولى: ١/ ٣٤٢

واستشهد بشعر الرماح تلاميذ الكوفيين أيضا؛ استشهدوا به على قواعد النحو واللغة، فمن ذلك قول أبي بكر بن الأنباري في كتابه: (المذكر والمؤنث)، مستشهدا بابن ميادة على أن الريح مما يؤنث:" وقال ابن ميادة في الشمول:

ومَنْزِلَةٌ أُخْرَى تُقَاوِمُ عَهْدَهَا * بِذِي العشِّ تَعْفُوهَا صَبًا وَشَمُولُ**((١

ويقال: شملت الريح من الشمال، وجنبت من الجنوب، ودبرت من الدبور، وصبت من الصبا بغير ألف، وقال أبو جعفر أحمد بن عبيد: يقال في الرياح كلها: فعلت بغير ألف إلا في النعامى، وهي الجنوب فإنه يقال: أنعمت، إذا هبت، بالألف."((٢

واستشهد بشعر ابن ميادة أيضا البغداديون، فلقد أورد رأس مدرستهم أبو علي الفارسي أبياتا من شعر الرماح بن أبرد في مواضع عدة من كتبه، مستشهدا بها على قواعد اللغة والنحو والصرف، ولقد سار الفارسي في تعليقته على نهج سيبويه في ذكر شواهد سيبويه والتعليق عليها، وكان من ضمنها أبيات الرماح بن أبرد التي تقدم ذكرها، وقد استشهد الفارسي بابن ميادة في كتبه النحوية الأخرى، بل لقد استشهد به في الاحتجاج للقراء السبعة في مواضع من كتابه الحجة ليست بالقليلة(٣)، منها قوله عند الاحتجاج لقراءة "وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ"(٤)، وقد قرأها ابن كثير وأبو عمرو: دارست بألف؛ قال الفارسي:" وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائيّ (دَرَسْتَ)

١() –البيت من الطويل، وهو لابن ميادة في ديوانه ص:١٨٤ وقد نسبه ابن الأنباري لابن ميادة في المذكر والمؤنث، في هذا الموضع الذي ذكرت، ونسبه إليه أيضا في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٢٣.

٢() – المذكر والمؤنث –أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن، المعروف بابن الأنباري (المتوفى: ٣٢٨ هـ) –المحقق: محمد عبد الخالق عضيمة –مراجعة: د. رمضان عبد التواب –مصر –وزارة الأوقاف –المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية –لجنة إحياء التراث –سنة النشر: ١٤٠١ هـ –١٩٨١ م: ١ / ٥٥١

٣() – ينظر الحجة للقراء السبعة : ١/ ٢٩٢ و٣ / ٣٥٠، ٣٧٣ و٤/ ٣٦

٤() – سورة الأنعام: ٦ / ١٠٥

ساكنة السين بغير ألف، وقرأ ابن عامر (دَرَسَتْ) مفتوحة السين ساكنة التاء بغير ألف؛ قال أبو زيد: درست، أدرس، دراسة، وهي القراءة قال:

وإنما يقال ذلك إذا قرأت على غيرك، قال الأصمعي: أنشدني ابن ميادة:

يَكْفِيكَ مِنْ بَعْضِ ازْدِيَارِ الآفَاقْ * سَمْرَاءُ مِمّا دَرَسَ ابنُ مِخْرَاقْ((**[1]

قال: دَرَس يدْرُسُ، مثل داس يدوس"((**[2]

واستشهد تلاميذ أبي علي الفارسي بابن ميادة وشعره أيضا على قواعد النحو والصرف واللغة، فابن جني قد استشهد بشعره كثيرا، فعند استشهاده على حذف الهمز وإبداله يقول:" ومن حكاياته بيس في بئس أبدل الهمزة ياء. ونحوه قول ابن ميَّادة:

(فكان لها يومَذٍ أمرها ...)"((**[3]

ولقد كان ابن ميادة وشعره مادة خصبة للاستشهاد عند من عني بالخلاف ومسائله بين المدرستين الأوليين؛ الكوفة والبصرة، وليس أدل على ذلك من أن الأنباري (أبا البركات) قد أورد اسمه صراحة في الإنصاف، ذاكرا شواهد من شعره، استخدمها لترجيح ما رآه راجحا من رأي علماء المدرستين، فعند حديثه عن الخلاف في أصل المشتقات، وترجيحه كون المصدر أصلا لها، رد على من قال بأن المصدر نفسه لا بد له من فعل أخذ منه، بأن من المصادر ما ليس له فعل، واستشهد على ذلك بقول ابن ميادة الذي استشهد به سيبويه من قبل، وهو:

١()- من الرجز؛ أو من مشطور السريع؛ إذا اتفقنا مع الصغاني في التكملة؛ إذ يقول: " ليس لابن ميادة على القاف رجز (ينظر التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية – الصغاني- الجزء الثالث – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة دار الكتب، القاهرة- ١٩٧٣: ٣/ ٣٥١) وهو لابن ميادة في ديوانه ص ١٧٩ والمخصص ١٦/ ٤٧.

٢() - الحجة للقراء السبعة: ٣/ ٣٧٣

٣()- الخصائص –أبو الفتح عثمان بن جني –الناشر: عالم الكتب –بيروت –تحقيق: محمد علي النجار: ١٥٢/٣، وورد الشطر المذكور في ديوان ابن ميادة هكذا :" فكان يومذٍ لها أمرها" من السريع، ص ١٣٢.

تَفَاقَدَ قَوْمِي إذ يبيعون مُهْجَتِي * بِجَارِيَة، بَهْرًا لهم بَعْدَهَا بَهْرًا (([١]**

كان هذا شأن الرماح بن أبرد (ابن ميادة) في كتب النحو، فالنحاة يقبلون شعره، ويستشهدون به دونما احتراز، أو شك في لحن أو دخيل، أو طابع مخالف لطابع العرب العاربة، وقد استمر هذا الطابع عند النحاة المتأخرين عن أبي البركات الأنباري، فقد روى نحاة القرن السابع والثامن والتاسع ...إلخ شواهد ابن ميادة، واحتجوا بها على صحيح اللغة، ومطرد القواعد، ومن أمثلة نحاة القرن السابع الهجري ابن يعيش الذي أورد له كثيرا من الشواهد المنسوبة لشعره في شرحه لمفصل الزمخشري[٢]، وابن مالك الذي احتج بشعر ابن ميادة في كتبه(.[٣]

وكان هذا شأن نحاة القرن الثامن، من أمثال أبي حيان الأندلسي[٤]، وناظر الجيش[٥]، ونحاة القرن التاسع، ومنهم بدر الدين العيني[٦]، وكذا حال

١() --ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين -المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ) - الناشر: المكتبة العصرية -الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م: ١/ ١٩٤

٢() ينظر شرح المفصل للزمخشري-المؤلف: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ) -قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب -الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م: ١ / ١٣٥، ٣/ ١٤

٣ () -ينظر شرح الكافية الشافية -المؤلف: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني - حققه وقدم له: عبد المنعم أحمد هريدي -الناشر: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة - الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م: ١/ ٣٨١ و ٣/ ١٥٠٨

٤ () -ينظر مثلا التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل -المؤلف: أبو حيان الأندلسي -المحقق: د. حسن هنداوي -الناشر: دار كنوز إشبيليا -الطبعة: الأولى: ٩ / ٥٣

٥()- ينظر شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد" -المؤلف: محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي المصري، المعروف بناظر الجيش (المتوفى: ٧٧٨ هـ) -دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرين -الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة -جمهورية مصر العربية -الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ:٢/ ٦٤٨، و٤/ ١٨٣٤و ٥/ ٢٢٧٤و ٦/ ٢٩٣٦و ٧/ ٣٣٥٠ و٨/ ٤٠٤٨

٦() - ينظر مثلا المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ «شرح الشواهد الكبرى" =

النحاة من بعدهم إلى عصرنا هذا؛ إذ كان ابن ميادة ممن يوثق بعربيتهم- على حد قول سيبويه فيه-ولغته ليس فيها تجريح، أو طعن أو قدح.

وجملة القول: إن النحاة لم يجدوا أي حرج في الاعتداد بشعر ابن ميادة، والاستشهاد به على أنه من فصيح اللغة، تتفق في ذلك مدارسهم - على تعددها، واختلاف مناهجها، وطرائق الدرس فيها- ولو كان هناك أي احتراز من لغته، أو أي خشية من تسلل لحن إليه أو غريب لأشاروا إليه في كتبهم، أو -على أقل تقدير- لاختلفوا حوله، وانقسموا بين مُقِرٍّ له، أو مخطِّئ، أو آخذ منه بقيد أو شرط، أو لوجدنا من يدعي فيه حداثة، أو مخالطة لعجم، أو تأثرا بلسان غير فصيح ... إلخ، إلا أن ذلك لم يكن، وكان نقيضه واقعا بيِّنًا، فهم يستشهدون به دون أي احتراز أو تشكيك.

المحور الثالث: موقف النحاة من الاستشهاد بشعر معاصريه:

لم يُجِزْ علماء أصول النحو السماعَ عمَّن لا يوثَق بعربيته، حتى لا يُفتح باب السماع، فيُنْقَل عمن فسدت لغته من جراء مخالطة الأعاجم، أو غياب الطبائع العربية الأصيلة في كلامه، وقد أجمعوا على أنه لا يجوز الاستشهاد بكلام المولدين والمحدثين في اللغة والعربية، وفي سبيل ضبط ذلك قسموا الشعراء إلى طبقات أربع؛ جاهلي قديم، ومخضرم، وإسلامي، ومحدث، وممن قسموا هذا التقسيم ابن رشيق؛ صاحب العمدة؛ وقد جعل المحدثين طبقات، فطبقتهم الأولى (السابقة) تعلو الثانية، وهكذا في التدريج، وقد اختلف بعضهم معه في هذا التقسيم، والمضمون واحد.

=

-المؤلف: بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (المتوفى ٨٥٥ هـ) -تحقيق: أ. د. علي محمد فاخر، أ. د. أحمد محمد توفيق السوداني، د. عبد العزيز محمد فاخر -الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة -جمهورية مصر العربية -الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ -٢٠١٠ م: ١/ ٢٤٦ و١/ ٤٧٧و ١/ ٤٩٣ و١/ ٤٩٤و ٣/ ١٢٢٣ و٤/ ٢٠٩٧.

والجاهلي والمخضرم يصح الاستشهاد بهما باتفاق، وقد نص بعض أهل أصول النحو على أنه لا يصح الاستشهاد بمن جاء بعد منتصف القرن الثاني الهجري.

وَنقل ثَعْلَب عَن الْأَصْمَعِي أَنه قَالَ: "خُتِمَ الشّعْر بإبراهيم بن هرمة، وَهُوَ آخر الْحجَج، وعدوا أول المولدين بشار بن برد، فلم يجيزوا الاستشهاد بشعره، ولا شعر من أتى بعده.

موقف النحاة المتقدمين من شعر بشار بن برد:

اختلف بعض أهل التراجم في السنة التي مات فيها بشار بن برد، لكن الفارق الزمني لم يكن كبيرا؛ فيذكر بعضهم أنه مات سنة (١٦٧هـ) مائة وسبع وستين من الهجرة، ويذكر آخرون أنه مات سنة (١٦٨) ثمان وستين ومائة، ويتفقون على أنه قد بلغ التسعين، أو زاد عليها، وهو ما يجعلنا نرجح أن مولده كان سنة سبع وسبعين أو قبلها.

وبناء عليه فإنه قد كان من الشعراء المعاصرين لابن ميادة، إذ ذهب كثير من أهل التراجم إلى أن ابن ميادة توفي سنة (١٤٩) مائة وتسع وأربعين، وكان معمرا، ولم يذكروا لنا سنة ميلاد ابن ميادة، إلا أننا نستطيع أن نستنتج أن الفترة من (٧٧ه) وهي التي شهدت مولد بشار إلى (١٤٩هـ) –وهي سنة وفاة ابن ميادة–قد شهدت وجود ابن ميادة وبشار بن برد، إذ عاشا فترة من حياتهما في هذه المدة، وهي ليست بالقصيرة، إذ تبلغ ثنتين وسبعين عاما.

ولقد كانت هذه الفترة الطويلة التي عاشاها كفيلة بأن تجعل ما يسري على أحدهما من جهة الاستشهاد النحوي يسري على الآخر، خاصة حين يكون بشار بن برد من أصحاب الفصاحة المشهود لهم بها، إلا أن الأمر لم يكن هكذا، ولم يكن لبشار بن برد حظ من الاستشهاد كحظ معاصره ابن ميادة.

ولقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني أن سيبويه قد احتج بشعر بشار بن برد تقربًا له، وخوفًا من هجائه، لأنه كان قد هجاه لأنه عاب شيئًا من شعره، وخطأه، فهجاه قائلا:

أَسِبْوَيْهِ يا ابنَ الفارسيَّة ما الذي * تَحَدَّثْتَ عن شَتْمِي وما كنتَ تَنبِذُ**

أَطَلْتَ تَغَنّي سادِرًا بمسَاءتِي * وأُمُّـــكَ بالمِصْـرَينِ تُعْطِـي وتَأْخُذُ**

قال أبو الفرج: " فتوقاه سيبويه بعد ذلك، وكان إذا سئل عن شيء فأجاب عنه ووجد له شاهدا من شعر بشار احتج به استكفافا لشره"((1

وذكروا أن سيبويه استشهد به في الكتاب، وأن من أقواله المستشهد بها في الكتاب:

وما كل ذي لُبٍّ بمؤْتيكَ نُصْحَهُ * وما كلُّ مؤتٍ نصحَهُ بلَبيب.**

وهذه روايات أقرب إلى الوضع، يشك في صحتها كل لبيب، فالبيت المذكور هو بيت من قصيدة معروفة لأبي الأسود الدؤلي، في ديوانه، وهي القصيدة التي منها قوله:

أمِنْتَ على السّرِّ امْرَأً غيرَ كاتمٍ * ولَكِنَّهُ فِيْ النُّصْحِ غَيرُ مُرِيبِ**

أَذَاعَ بِهِ فِي النَّاسِ حَتَّى كَأَنَّهُ * بَـعَلْيَـاءَ نَـارٌ أُوقِدَتْ بِثَقُوبِ**

ولست في هذا أول المتشككين، وإنما تشكك في صحة ذلك كثير من المتقدمين، ومنهم أبو العلاء المعري؛ إذ قال: " وهذه أخبار لا تثبت"(2)، كما سبق إلى الشك فيه من المحدثين الأستاذ علي النجدي في كتابه: " سيبويه إمام النحاة"، ورأى أن هذه القصة – إن صحت – فما كان ذكر البيت مجردا من اسم قائله – كما جاء في الكتاب– ليرضي بشارا إذا كان يطمح في الاعتداد به واحدا من أهل الاستشهاد، وإذا كان هجاؤه قد سبق لأجل هذا،

-١الأغاني() 3/206 :

٢ ()– رسالة الغفران–المؤلف: أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان، أبو العلاء المعري، (المتوفى: ٤٤٩هـ)–الناشر: مطبعة (أمين هندية) بالموسكي (شارع المهدي بالأزبكية) – مصر– صححها ووقف على طبعها: إبراهيم اليازجي–الطبعة: الأولى، ١٣٢٥ هـ – ١٩٠٧ م: ١٤٠

على حد ما جاء في هذه القصة، كما أن البيت ليس منسوبا لبشار قولا واحدا؛ بل إن هناك من ينسبه له، ومن ينسبه لأبي الأسود الدؤلي(.([1]

والأمر الجلي أنه لا وجود لبشار في كتاب سيبويه، ولا ذكر لاسمه، وأن ما أورده أبو الفرج الأصفهاني في هذا الشأن موضوع ومفترى، بدليل تردد الراوي نفسه في بداية الخبر، إذ أورد أن بشارا توعد بالهجاء الأخفش الأوسط، وأنه هو الذي عاب عليه الشعر وخطأه، ثم ذكر في الموضع نفسه أن سيبويه هو الذي كان معنيا بتهديد بشار، وأتى بالبيتين مذكورا فيهما اسم سيبويه، في لغة لا يمكن أن ترقى للغة بشار التي عرف بها في ديوانه، كما أن بشارا يعتمد في هجاء سيبويه على ذكر كون أمه فارسية، وبشار نفسه فارسي الأم، والثابت أنه كان يفخر بأصله الفارسي، كفخره بأصله العربي، وأنه هو القائل:

ألا أَيُّها السائِلي جاهدًا * لِيَعْرِفَنِي أنا أنفُ الكَرَمْ**

نَمَتْ في الكرامِ بَنِي عامرٍ * فُروعِي وأصْلِي قريشُ العَجَمْ**

وما جاء في بعض الكتب مثل نور القبس، ومفاده: أن بشارا كان يقصد "أنه كان في البصرة امرأة يقال لها الفارسيَّة، مشهورة بالزنا، فكان أهل البصرة إذا أرادوا أن يُزنُّوا إنساناً قالوا: يا ابن الفارسية! "، مردود بأن بشارا قد كان من الدهاء بمكان يجعله لا يذكر في هجائه شيئا يمكن أن يومئ به إلى أصوله، فيرتد عليه هجاؤه.

وعلى أي حال فإن الجدير بالالتفات هنا ليس البيت المنسوب لبشار في الكتاب أو لغيره، بل العلة التي يستبعد بها شعر بشار بن برد، مع قبول شعر ابن ميادة وابن هرمة، وهما معاصران له؟!

والذي أراه أن العلة التي رآها بعض المؤرخين داعية إلى الاستشهاد ببشار هي نفسها التي دعت إلى استبعاد شعره من الاستشهاد، ذلك أنه لم

١- () ينظر سيبويه إمام النحاة- تأليف : علي النجدي ناصف – عالم الكتب – القاهرة : ١٥٣

يكن بمنأى عن النحويين المتقدمين أن الاستشهاد ببشار سيصحبه شبهة الخوف من لسانه وهجائه، فابتعدوا عن شعره.

والذي يرجح هذا أن الهجاء لم يك أبدا دافعا للنحويين إلى استحسان ما لا يحسن، فلم يكن هجاء الفرزدق لابن أبي إسحاق الحضرمي دافعا للأخير إلى مدح نتاج الفرزدق الشعري بعد ذلك، ولم يكن هجاء يزيد بن الحكم للنحويين عامة بدافع لهم إلى الإشادة بشعره، ولم يكن من ارتضى النحاة المتقدمون شعرهم بمشهورين في الهجاء، وليس من العقل أن يقال: إن كل من لم يستشهد بشعره من النحاة المعاصرين لسيبويه قد هجاه أو هدد بهجائه، ولا أن كل من استشهد بهم قد رضوا عن سيبويه ومدحوه.

كما أن هذه الشبهة منفية من طريق آخر، وهو أن كتاب سيبويه إنما عرف واشتهر بعد موت سيبويه نفسه، حتى قيل: إن الأخفش الأوسط قد همَّ بنسبة الكتاب إلى نفسه(([1]

وإذا كان ابن ميادة قد عاش ردحا من الزمن في الفترة التي عاش فيها بشار، فإن ما عرف عن بشار لم يكن معروفا عن ابن ميادة، فبشار عرف بالزندقة، وخلل المعتقد، وحب الخمر، وسوء المسلك، وربما كان ذلك مما يحمل على تجنب الاعتداد بلغته، والاستشهاد بها عند من تقدم من النحاة، ولقائل أن يقول: فلماذا أخذوا عن الجاهليين؟ وقد كان فيهم ما كان في بشار؟ والإجابة هي أن بشارا كان في عصر مطبوع بطابع الإسلام بخلاف الجاهلية، فلم تكن الخمر أو الزندقة في الجاهلية مما ينتج عنه إخلال بلغة الرجل الأصيلة، لاصطباغ البيئة بطابع البادية، وبُعْد الأعاجم، أما في عصر بشار فلربما رغب النحاة المتقدمون عنه؛ لأن من لا يعتد بثوابت الدين لا يعتد بثوابت اللغة، وليس ببعيد عن التوليد واللحن فيها، ويلاحظ ذلك في حديث أهل التراجم والتاريخ عن موت بشار؛ إذ يكثر تعبيرهم بالفعل (هلك)

- اينظر مثلا معجم الأدباء () 3/1374 :

و(مات) قال الذهبي: " اتُّهِمَ بِالزَّنْدَقَةِ، فَضَرَبَهُ المَهْدِيُّ سَبْعِيْنَ سَوْطًا لِيُقِرَّ، فَمَاتَ مِنْهَا، وَقِيْلَ: كَانَ يُفَضِّلُ النَّارَ، وَيَنْتَصِرُ لإِبْلِيسَ، هَلَكَ: سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّيْنَ وَمَائَةٍ، وَبَلَغَ التِّسْعِيْنَ"(.[1]

والذي أراه راجحا أن الدافع لاستبعاد بشار من الاستشهاد عند متقدمي النحاة لم يكن تأخره الزمني، إذ هو معاصر لكثير ممن استشهد بشعرهم، ولم يكن توقع لحن يسري إلى لغته من أمه الفارسية، فقد كانت أم ابن ميادة فارسية أيضا، وقد استشهدوا بشعره، ولم يكن قلة علم بشار باللغة وتراكيبها الفصيحة، فالثابت أن بشارا بن برد كان يعرف مقامات اللغة، وطبائعها الفصيحة فيطبع قصائده عليها، ويبتعد بها عن طبائع المولدين–وإن كانت صحيحة من جهة التركيب النحوي– وليس أدل على ذلك مما رُوِي عنه من أن أبا عمرو بن العلاء وخلفا الأحمر كانا يأتيانه، فينشدهما، وأنهما قد أتياه يوما "فقالا: ما هذه القصيدة التي أحدثتها في ابن قتيبة؟ قال: هي التي بلغتكما، قالا بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب قال: نعم إن ابن قتيبة يتباصر بالغريب فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرف، قالا: فأنشدناها يا أبا معاذ فأنشدهما:

بكِّرَا صَاحِبَيَّ قَبْلَ الهَجِيرِ * إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ**[2]

حتى فرغ منها، فقال له خلف: لو قلت يا أبا معاذ مكان "إن ذاك النجاح": بكِّرَا فالنجاح، كان أحسن، فقال بشار: إنما بنيتها أعرابية وحشية فقلت "إن ذاك النجاح" كما يقول الأعراب البدويون، ولو قلت "بكرا فالنجاح" كان هذا من كلام المولدين"[3]، ولقد رضيا قوله، وأقراه، حتى إن خلفا قبل رأسه، وربما قال قائل: لقد سكتا عنه فلم يجادلاه اتقاء شره، وخوفا من

١-سير أعلام النبلاء –الذهبي – دار الحديث – القاهرة–١٤٢٧ هـ=٢٠٠٦م () 6/484:

٢( ) – البيت من الخفيف، وهو من رائية بشار بن برد المشهورة.

٣() –الإيضاح في علوم البلاغة– جلال الدين القزويني المتوفى: ٧٣٩هـ– المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي– دار الجيل – بيروت – الطبعة: الثالثة: ١/ ٧٤

هجائه، والجواب: أنه لو كان ذلك صحيحا لما اعترضا تركيبه اللغوي الذي اختاره، ولما اقترحا عليه غيره.

وفي هذه الرواية نلحظ ثلاثة أشياء؛ الأول: أن أبا عمرو بن العلاء، وهو من متقدمي النحاة – فهو أستاذ الخليل بن أحمد – كان يأتي بشارا، ويسمع شعره، ولم يروِ واحد أنه خطأه، أو اتهم لغته.

والثاني: أن بشارا صاحب علم بالغريب، وهو ينسج منه شعرا حين يريد، كما كان حاله في هذه القصيدة.

والثالث – وهو ما عليه التعويل هنا –: وهو أن بشارا يعرف جيدا طبائع العرب الأقحاح في لغتهم، ويعرف ما خالفها من طبائع المولدين، ولم يكن طابع المولدين بغالب عليه غلبة تنسيه النظائر الأعرابية الأصيلة.

وهو – رغم هذا كله – لم يكن ذا حظوة من الاستشهاد تعدل حظوة ابن ميادة، ولا تقاربها، وهذا ما يجعلنا نستبعد أن يكون سبب استبعاد بشار من الاستشهاد في كتاب سيبويه هو التأخر الزمني فقط، أو احتمال اللحن الذي سرى إليه من لغة أمه ...إلخ.

ولقد رضي النحاة المتأخرون عن المدرستين الكبيرتين شعر بشار، واستشهدوا به في مواضع كثيرة على اللغة، والنحو والصرف، وقد جاء ذكر بشار في الخصائص في أكثر من موضع، وكان ابن جني يعده مولدا، لكنه يجيز له بعض ما كان يخطئه فيه من تقدم من أهل الصنعة((1

موقفهم من شعر يزيد بن الحكم، وشعر أبي نواس:

لم يكن بشار وحده هو المستبعد من الاستشهاد بحجة التوليد والحداثة، ولا يكون الواحد دقيقا إذا ما قرر أنه هو ومن بعده فقط غير مرضي عنهم في الاستشهاد عند النحاة، فشبهة التوليد والعجمة قد لحقت من كان قبلهم من الشعراء، فعاب عليهم النحاة شعرهم، ولحنوهم، وحكموا بخروجهم عن

- 1ينظر الخصائص: ٣١/١ و328، ()3/ 381

الطابع الأصيل الفصيح، فالفرزدق – مثلا – ذلك الشاعر التميمي الذي كان قد بلغ بشعره مبلغا جعله ينفرد بكونه لا ينشد الملوك والخلفاء إلا جالسا، لم يكن مرضيا من نحاة عصره، وعُدَّ مولدا، فلقد عاب شعره ولغته عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعابه قبل الحضرمي عنبسة بن معدان الفيل مفضلا شعر جرير عليه.

وجرير نفسه، هذا الذي فضله عنبسة بن معدان، عده أبو عمرو بن العلاء مولدا، ورغم أنه أضفى على شعره صفة الحسن، إلا أنه لم يجز الاستشهاد به صراحة، وقال: " لقد حسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته"([1]

ولم يكن النحاة تجاه الشعراء على قلب رجل واحد، فمن الشعراء من أجاز بعض النحاة قوله، ورده بعضهم، وهو كثير، نذكر منهم (يزيد بن الحكم)، وقد استشهد بشعره سيبويه([2])، وذكر بيته:

وكَمْ موطنٍ لولايَ طِحتَ كما هَوَى * بأَجْرامه من قُنةِ النّيق مُنهَوي**

ثم ضعفه المبرد في الكامل، ورد مجيء الضمير متصلا بعد (لولا)، ونقل البغدادي عن المبرد في الخزانة قوله: " وَحُدِّثْتُ أَن أَبَا عَمْرو اجْتهد فِي طلب مثل لولاك ولولاي بَيْتا يصدقهُ أَو كلَاما مأثورًا عَن الْعَرَب فَلم يجده؛ قَالَ أَبُو الْعَبَّاس: وَهُوَ مَدْفُوع لم يَأْتِ عَن ثِقَة، وَيزِيد بن الحكم لَيْسَ بالفصيح(([3]

ويزيد بن الحكم بن أبي العاص متقدم على ابن ميادة باعتبار سنة الوفاة، فيزيد متوفى سنة مائة وعشر من الهجرة[4]، وابن ميادة –على

- [1]ينظر مثلا : المزهر في علوم اللغة وأنواعها– جلال الدين السيوطي –المحقق: فؤاد علي منصور– الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت–الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م () 2/414:

- [2]ينظر كتاب سيبويه () 374 /2 :

[3]خزانة الأدب( ) 5/340:

٤– ()الوافي بالوفيات – المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)–المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى

=

الأرجح – سنة مائة وتسع وأربعين؛ وإن اختلاف النحاة في المتقدم دون المتأخر لدليل على أن التقدم الزمني لم يكن وحده الضابط المعتبر في قبول الشعر، والاعتداد به في الاستشهاد.

وإذا تجاوزنا يزيد بن الحكم، وبشارا بن برد، لننظر في شعر الحسن بن هانئ – أبي نواس–وموقف النحاة منه، تبين لنا الفارق بين موقف النحاة المتقدمين، وموقف سلفهم ممن تأخروا تجاه أبي نواس، فالمتقدمون لا يعتدون بشعر أبي نواس، ولا يستشهدون به، فلم يرد شاهد واحد في الكتاب–كتاب سيبويه–معزوا إليه، بل لم يرد شاهد يدّعي النسابون والرواة أنه له.

ولم يكن استبعاد أبي نواس من الاستشهاد عند سيبويه بسبب طابع مولد غلب عليه، أو جهل بالفصيح من اللغة، فلغة أبي نواس قد أثنى عليها كثير من الرواة والمتقدمين؛ قال الجاحظ: " ما رأيت رجلا أعلم باللغة ولا أفصح لهجة من أبي نواس"([1]) "وقال النظَّام: "هذا الّذي جُمع له الكلام فاختار أحسنه. وقال كلثوم العتابي: لو أدرك أبو نواس الجاهلية ما فُضِّل عليه أحد. وقال الإمام الشافعيّ: لولا مجون أبي نواس لأخذت عنه العلم، وحكى أبو نواس عن نفسه قال: ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب"[(٢)]، ولا شك أن من روى لستين امرأة قد روى لأضعاف هذا العدد من الرجال.

والمدقق في تاريخ وفاة أبي نواس ووفاة سيبويه يلاحظ أن أبا نواس كان صغير سن حين وضع سيبويه كتابه، فسن أبي نواس عند موت سيبويه

=

الناشر: دار إحياء التراث – بيروت –عام النشر:١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م: ٢٨/ ٤٥

-١الحيوان للجاحظ – (المتوفى: ٢٥٥هـ –الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت–الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ() 7/ 449 :

٢()– الأعلام–خير الدين الزركلي –دار العلم للملايين –الطبعة: الخامسة عشر –أيار / مايو ٢٠٠٢ م: ٢٢٥/٢

نفسه لا تتجاوز خمسا وثلاثين، (حيث توفي أبو نواس سنة مائة وتسعة وتسعين من الهجرة، وكان عمره أربعة وخمسين عاما، وتوفي سيبويه على الأرجح عام مائة وثمانين)، ولربما كانت التسع عشرة سنة التي عاشها أبو نواس بعد سيبويه هي التي اتسعت فيها شهرته، وصار فيها شاعرا معروفا، صاحب صيت، فلربما كان هذا سببا لعدم الاستشهاد بشعره في كتاب سيبويه.

ولقد عرف أبو نواس بأنه شاعر ثائر على القديم، خارج عن طباع الأصالة في الشعر، وهذا أمر جعل شعره يخرج بلفظ محدث -وإن كان فصيحا-وبتركيب رقيق بسيط – وإن كان بليغا-والاستشهاد بالشعر إنما يقصد الأصيل منه ليجعله قالبا معتمدا في القياس، فلربما كان هذا أيضا سببا في استبعاده.

ويضاف إلى ما تقدم أن أبا نواس كان ماجنا، وقد اتخذ في شعره مسارا جديدا، جعله غير مرضي من الاتجاهات الأصولية التي كانت معاصرة له، ذلك أنه ملأ شعره بالخمريات، وسلك فيها مسلكا لم يُعْرَفْ قبله، فلم يكتفِ بالمجاهرة بها، أو الدعوة إليها، وإنما عدها معشوقا يتغزل فيه، ويسرد القصيدة لأجله، داعما للشعوبية التي كانت تسعى إلى ازدراء كثير من عادات العرب، وأساليبهم المحافِظَةِ، ومخالفتهم في عاداتهم وأخلاقهم، وثقافتهم، وفي دينهم -قبل ذلك كله-وهو أمر – لا شك – سيعزز استبعاد شعره، والحيدة عن أن يكون شعره شاهدا على لغة القرآن الكريم؛ مصدر التشريع الإسلامي الأول.

وعهدنا بأبي نواس في كتب المتقدمين على ابن جني والمعاصرين له أن يأتي شعره في موضع التخطئة والنقد، كما جاء في اللامات للزجاجي، قال: " وقول الله تعالى: (مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ)، فالرفع يدل على فساد ما ذهب إليه الفراء، وقد أجاز الفراء أيضا الرفع بعد إلا في الموجب، فأجاز: قام القوم إلا زيدٌ، وانطلق أصحابك إلا بكر؛ قال: أرفعه على إلغاء إن والعطف بلا، وقد بينت لك فساد هذا الوجه وهو لحن عند البصريين، وقد

استعمله كثير من الشعراء المحدثين وكثيرا ما نراه في شعر أبي نواس، ومن هو في طبقته، وأحسبهم تأولوا هذا المذهب"((١

وأيا كان الحال عند المتقدمين من النحاة، فقد آل الأمر عند المتأخرين منهم إلى أن صار لأبي نواس نصيب من الاستشهاد؛ فقد استشهد به البغداديون، ومنهم ابن جني في الخصائص(٢)، ثم استشهد بشعره كثير ممن تأخروا عن ابن جني، ولم يكتفوا بشعره الذي تكثر نظائره في لغة أرباب الفصاحة المتقدمين، بل استشهدوا بشعره الذي تقل نظائره أيضًا، ومن ذلك استشهادهم على النفي بـ(غير) بقوله:

غَيْرُ مَأْسُوفٍ عَلَى زَمَنٍ * يَنْقَضِي بِالْهَمِّ وَالحزَنِ ((٣**

وعلى أي حال فإن هذا الاستشهاد الذي جاء متأخرا بشعر أبي نواس أو بشار بن برد لا يلغي موقف النحاة المتقدمين منهم، ولا يمحوه من

١() – اللامات – عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٣٧هـ) – تحقيق: مازن المبارك– دار الفكر – دمشق – الطبعة الثانية –١٤٠٥ = ١٩٨٥ م: ٤٠

-٢ينظر الخصائص() 172 /2 :

٣ () – البيت من المديد، وممن استشهد ببيت أبي نواس على هذه القاعدة ابن الحاجب في أماليه؛ إذ خصص موضعا فيها لتوجيه إعراب (غير) في البيت، ينظر أمالي ابن الحاجب– (المتوفى: ٦٤٦هـ)–تحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة–: دار عمار – الأردن، دار الجيل – بيروت – عام النشر: ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م : ٢/ ٦٣٧، وممن استشهد بالبيت أيضا ابن مالك في شرح التسهيل: ١/ ٢٧٥، ٤/ ٣٣، والمرادي ؛ ينظر : توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك–أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى : ٧٤٩هـ)–شرح وتحقيق :د. عبد الرحمن علي سليمان

الناشر : دار الفكر العربي– الطبعة : الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م:١/٤٧١ وابن هشام في المغني، ينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب– ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)–المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله –الناشر: دار الفكر – دمشق –الطبعة: السادسة، ١٩٨٥: ٢١١، وابن عقيل في شرحه على الألفية– ينظر شرح ابن عقيل (المتوفى : ٧٦٩هـ)المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد–الناشر : دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة–الطبعة : العشرون ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م : ١/ ١٩١، وأبو حيان في التذييل والتكميل: ٣/ ٢٧٧، وناظر الجيش في تمهيد القواعد: ٢/ ٨٦٦، والأشموني في شرحه على الألفية؛ ينظر شرح الأشموني على ألفية ابن مالك– نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (المتوفى: ٩٠٠هـ)–الناشر: دار الكتب العلمية بيروت– لبنان –الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ– ١٩٩٨مـ : ١ / ١٨٠، ، وغيرهم.

الأذهان، فيظل الرجلان من جهة التنظير والتقعيد النحوي بعيدين عن الاستشهاد على فصيح اللغة، وبليغ الأساليب والتراكيب، وقد أعاد هذا التنظير من تحدثوا عن أصول النحو في القرن العاشر الهجري، ومنهم السيوطي؛ إذ أورد أنه لا يستشهد بكلام المولدين، والمحدثين، ذاكرا أن أولهم بشار بن برد[١]، ومن جاء بعده، ضاربا عرض الحائط بما يراه من شواهد مسطرة لشعراء هذه الطبقة عند النحاة المتأخرين عن المدرستين الكبيرتين، ليؤكد أن هذا ما درج عليه المتقدمون، حفاظا على القوالب العربية الفصيحة الصحيحة، غير مكترث بذكر الأسباب التي دعت إلى استبعاد شعراء وقبول آخرين ممن عاشوا في حقبة زمنية واحدة تقريبا، مكتفيا بالإطار الزمني، وهو الذي أثبتت الدراسة هنا أنه لا يكفي الاعتداد به منفردا عند التعليل لهذين المسلكين المختلفين، وأن هناك جملة من الأسباب نجم عنها الإقرار بالأخذ أو الترك، وليس العامل الزمني فقط.

وجملة القول: إن متأملا لموقف النحاة من شعراء هذه الحقبة الزمنية لا يكاد يجد شاعرا من الشعراء الذين شهدوا الدولتين (الأموية والعباسية) قد حظي برضا النحاة، وإجماعهم، وعدم تعرضهم للشك في لغته، أو توقع لحنه مثل ابن ميادة هذا-إذا ما استثنينا إبراهيم بن هرمة[٢]-، رغم توافر الظروف التي تجعل ابن ميادة موضعا للشك، واحتمال اللحن؛ كعجمة أمه، وتأخره الزمني، وارتحاله عن البادية في طلب الملوك والأمراء والوجهاء... إلخ.

١( )- ينظر الاقتراح في أصول النحو – السيوطي – تحقيق :د. محمود فجال – دار القلم – دمشق – سوريا- الطبعة الأولى – ١٤٠٩ هـ : ١٢٠ و ١٢٢

- ٢فقد استشهد به سيبويه في كتابه: ١/ ٤١٤، والفراء في معاني القرآن () 2/ 57 :

الخاتمة

اتفق أهل تاريخ النحو وأصوله على أن أول المُحْدَثين بشار بن برد، وأن من جاء بعده كان محدثا مولَّدا، وأنه لا يُسْتَشْهَد بكلام المحدثين المولدين على قواعد اللغة، ولم تتضح كلمتهم تجاه من عاشوا مع بشار، وعاصروه، فقُبِل الاستشهاد بشعر بعض المعاصرين لبشار، ومنهم ابن ميادة – موضوع هذه الدراسة–دون احتراز أو قيد، ورُدَّ شعر بعضهم، ومنهم بشار نفسه، وأبو نواس، وقد حاولت الدراسة البحث عن أسباب هذه المواقف المتباينة المختلفة، وانتهت إلى جملة من النتائج؛ أهمها:

أولا: ليس صحيحا أن يقال: إن سيبويه استشهد بشعر من مات من هؤلاء الشعراء، ولم يقبل الاستشهاد بشعر الأحياء، لأن بشارا وابن هرمة وابن ميادة جميعهم قد ماتوا قبل سيبويه – إذا عددنا سيبويه متوفى سنة ١٧٩ أو سنة ١٨٠ من الهجرة؛ وقد جاء شعر منسوب لابن ميادة وابن هرمة في كتاب سيبويه، ولم يأت شعر لبشار فيه.

ثانيا: لم تذكر المصادر تاريخا لمولد ابن ميادة، وكونه من شعراء الدولتين الأموية والعباسية دليل على أنه عمر طويلا.

ثالثا: ينتمي ابن ميادة إلى نسب عريق في الفصاحة من جهة أبيه، فهو من الغطفانيين، وأمه أعجمية، وقد أثبتت الدراسة أن تأثره اللغوي بها كان ضعيفا، وهو الأمر الذي نتج عنه إجماع على فصاحته، وعدم التصريح بأي خلل أو طابع لغوي غير فصيح يشوب لغته.

رابعا: رضي رواة العربية وناقلوها الأُوَل لغة ابن ميادة – قبل النحويين –، واستشهدوا بشعره على اللغة ومعانيها، وليس منهم من يستهجنها، أو يضعها موضع احتمال اللحن والخطأ، كما استشهد به أهل الحديث، رواته وشارحوه، وأهل المعاجم، وغريب اللغة، وليس منهم من يستهجن لغته، أو يدعي احتمال وقوع لحن عنده، أو أن تكون لغته على طابع المولدين المحدثين، أو دون الفصيحة.

خامسا: الاستشهاد بابن ميادة في كتب النحو قديم قِدَمَ التأليف النحوي، وكتاب سيبويه خير شاهد على ذلك، وقد ثبت لدى الدراسة أن سيبويه لم يَرَ ابن ميادة، ولم يسمع منه مباشرة، وإنما وصل إليه شعره من رواة ثقات– عنده–فقبله، ورواه، واستشهد به، وأثبتت الدراسة أيضا أن من كان قبله من النحاة قد استشهدوا بشعر ابن ميادة على اللغة والنحو، ومنهم الخليل بن أحمد، وأبو الخطاب الأخفش الأكبر.

سادسا: استمر الاستشهاد بابن ميادة في كتب النحو بعد سيبويه، ومن خلال مدارس النحو المتتابعة، دون أن تُرْصَدَ أية إشارات إلى تدني لغته عن الفصحى، أو اعوجاجها عن طابع العرب الأقحاح، أو تفضيل غيرها عليها، أو الاعتراض على شيء من ألفاظها أو تراكيبها.

سابعا: أثبتت الدراسة أن الفترة التي عاشها بشار في حياة ابن ميادة قد زادت على سبعين عاما، ورغم ذلك لم يَرِدْ لبشار شعر في كتاب سيبويه، بخلاف ابن ميادة، وقد ثبت لدى الدراسة أن البيت الذي يزعم بعض المؤرخين أنه لبشار، لا يثبت كونه له، وأنه لأبي الأسود في ديوانه، وأن القصة التي أوردها أبو الفرج في الأغاني – التي تزعم أن سيبويه استشهد ببيت بشار خوفا من هجائه–قصة مفتراة، لا تصح، ولا تثبت من طريق علمي سليم.

ثامنا: رجحت الدراسة أن تكون العلة التي رآها بعض المؤرخين داعية إلى الاستشهاد ببشار –وهي خوف سيبويه من هجائه– هي نفسها التي دعت إلى استبعاد شعره من الاستشهاد، ذلك أنه لم يكن بمنأى عن النحويين المتقدمين أن الاستشهاد ببشار يصحبه شبهة الخوف من لسانه وهجائه، فابتعدوا عن شعره، حتى لا يُتَّهموا بجبنهم وخوفهم من الهجاء؛ فيكون هذا الاتهام دافعا إلى ترك أخذ العلم عنهم، يضاف إلى هذا كون الحاجة ليست ملحة للاستشهاد بشعر بشار، ما دامت النظائر اللغوية موجودة في شعر غيره من المتقدمين عليه، والمعاصرين الذين لا تُخْشَى تجاههم هذه الشبهة.

تاسعا: أوضحت الدراسة موقف النحاة المتأخرين عن المدرستين الأوليين تجاه شعراء هذه الطبقة، واختلافه عن موقف المتقدمين من علماء المدرستين.

عاشرا: ذهبت الدراسة إلى أن الاعتداد بالمعيار الزمني وحده عند الاستشهاد بشعراء القرن الثاني الهجري ليس دقيقا، وأن هناك عوامل عدة تُعَضِّد هذا القيد الزمني، كان يُعَوَّل عليها في القبول أو الرد، ولم يكن الفيصل زمانيا فحسب، وقد أوضحت الدراسة الأحداث التي شَكَّل تعاضدها سببا في ترك الاستشهاد بشعر بشار، وتلك التي أشبهتها عند أبي نواس، فخلفت موقفا من النحاة شبيها بموقفهم من شعر بشار، ورَدَّتْ الدراسة زعم من يذهب إلى أن المُوَلَّد الذي يُتْرَك الاستشهاد به هو من كان أحد أبويه أعجميا، واستدلت على ذلك بكون ابن ميادة أعجمي الأم مرضيَّ اللغة والاستشهاد رغم عجمة أمه.

***

ثبت المصادر والمراجع

١.الأعلام-خير الدين الزركلي -دار العلم للملايين -الطبعة: الخامسة عشر -أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٢.الأغاني – لأبي الفرج الأصفهاني -تحقيق : سمير جابر – دار الفكر – بيروت-الطبعة الثانية.

٣.الاقتراح في أصول النحو – السيوطي – تحقيق :د. محمود فجال – دار القلم – دمشق -سوريا- الطبعة الأولى – ١٤٠٩ هـ.

٤.أمالي ابن الحاجب- (المتوفى: ٦٤٦هـ)-تحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة-: دار عمار – الأردن، دار الجيل – بيروت -عام النشر: ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م.

٥.الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين – المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ) -الناشر: المكتبة العصرية – الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٦.الإيضاح في علوم البلاغة-جلال الدين القزويني المتوفى: ٧٣٩هـ- المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي-دار الجيل – بيروت -الطبعة: الثالثة.

٧.بنيان اللغة – نعوم تشومسكي – ترجمة : إبراهيم الكلثم جداول للنشر والترجمة – بيروت – لبنان- الطبعة الأولى – ٢٠١٧ م.

٨.تاريخ دمشق-أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)- المحقق: عمرو بن غرامة العمروي – الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع -عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

٩.التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل -المؤلف: أبو حيان الأندلسي – المحقق: د. حسن هنداوي -الناشر: دار كنوز إشبيليا -الطبعة: الأولى.

١٠.التعليقة على كتاب سيبويه–الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ) –المحقق: د. عوض بن حمد القوزي –الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ –١٩٩٠م.
١١.تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم(ت : ٣٢٧ هـ) – المحقق: أسعد محمد الطيب –الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية –الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ ه.
١٢.التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية – الصغاني– الجزء الثالث – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم– مطبعة دار الكتب، القاهرة– ١٩٧٣.
١٣.تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد" –المؤلف: محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي المصري، المعروف بناظر الجيش (المتوفى: ٧٧٨ هـ) –دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرين –الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة –جمهورية مصر العربية –الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ.
١٤.تهذيب اللغة– الأزهري– المحقق: محمد عوض مرعب–الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت–الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
١٥.توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك–أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى : ٧٤٩هـ)–شرح وتحقيق :د. عبد الرحمن علي سليمان الناشر : دار الفكر العربي– الطبعة : الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.
١٦.جمل من أنساب الأشراف –أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ) –تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي–دار الفكر – بيروت–الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ –١٩٩٦ م.
١٧.الحجة للقراء السبعة –الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ) –المحقق: بدر الدين قهوجي –بشير جويجابي – راجعه ودققه: عبد العزيز رباح –أحمد يوسف الدقاق –الناشر: دار

المأمون للتراث –دمشق / بيروت –الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م.

١٨.الحيوان للجاحظ – (المتوفى: ٢٥٥هـ –الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت–الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ ه.

١٩.خزانة الأدب عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ)تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة– الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

٢٠.الخصائص –أبو الفتح عثمان بن جني -تحقيق: محمد علي النجار – الناشر: عالم الكتب –بيروت.

٢١.خلق الإنسان – للأصمعي– ضمن منشورات (الكنز اللغوي في اللسن العربي) تعليق : د. أوجست هفنر – المطبعة الكاثوليكية – بيروت– ١٩٠٣ م.

٢٢.رسالة الغفران–المؤلف: أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان، أبو العلاء المعري، (المتوفى: ٤٤٩هـ) –الناشر: مطبعة (أمين هندية) بالموسكي (شارع المهدي بالأزبكية) – مصر–صححها ووقف على طبعها: إبراهيم اليازجي–الطبعة: الأولى، ١٣٢٥ هـ –١٩٠٧ م.

٢٣.سيبويه إمام النحاة– تأليف : علي النجدي ناصف – عالم الكتب – القاهرة.

٢٤.سير أعلام النبلاء –الذهبي – دار الحديث – القاهرة–١٤٢٧ هـ=٢٠٠٦.

٢٥.شرح ابن عقيل (المتوفى : ٧٦٩هـ)المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد–الناشر : دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة–الطبعة : العشرون ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م.

٢٦.شرح أبيات سيبويه شرح أبيات سيبويه – للسيرافي (المتوفى: ٣٨٥هـ)– المحقق: الدكتور محمد علي الريح هاشم –راجعه: طه عبد الرءوف سعد– الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر–عام النشر: ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م.

٢٧.شرح الأشموني على ألفية ابن مالك– نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (المتوفى: ٩٠٠هـ)–الناشر: دار الكتب العلمية بيروت– لبنان –الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.

٢٨.شرح الكافية الشافية –المؤلف: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني –حققه وقدم له: عبد المنعم أحمد هريدي – الناشر: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة –الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ –١٩٨٢ م.

٢٩.شرح المفصل للزمخشري–المؤلف: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ) –قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب –الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان –الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ –٢٠٠١ م.

٣٠.شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي – تأليف : محمد محيي الدين عبدالحميد –دار الأندلس – الطبعة الرابعة – ١٩٨٨م: ٤٢٣ .

٣١.شعر ابن ميادة – جمعه وحققه د. حنا جميل حداد– راجعه : قدري الحكيم – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق – ١٤٠٢= ١٩٨٢ م.

٣٢.الصاحبي – أحمد بن فارس بن زكريا– (الناشر: محمد علي بيضون– الطبعة الأولى ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.

٣٣.طبقات الشعراء–عبدالله بن محمد ابن المعتز العباسي (المتوفى: ٢٩٦هـ) –المحقق: عبد الستار أحمد فراج –الناشر: دار المعارف – القاهرة –الطبعة الثالثة.

٣٤.غريب الحديث -المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي) المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨ هـ)-المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي -خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي - الناشر: دار الفكر - دمشق -عام النشر: ١٤٠٢ هـ -١٩٨٢.

٣٥.غريب الحديث-المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) -المحقق: د. عبد الله الجبوري -الناشر: مطبعة العاني - بغداد -الطبعة: الأولى، ١٣٩٧.

٣٦.كتاب العين -المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) -المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي -الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٣٧.كتاب سيبويه - تحقيق: عبد السلام هارون -الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة-الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨م.

٣٨.اللامات -عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٣٧هـ) - تحقيق: مازن المبارك-دار الفكر - دمشق - الطبعة الثانية -١٤٠٥ = ١٩٨٥ م.

٣٩.لسان العرب- ابن منظور الأنصاري الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)- الناشر: دار صادر - بيروت-الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ .

٤٠.مجاز القرآن -المؤلف: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: ٢٠٩-المحقق: محمد فواد سزگين -الناشر: مكتبة الخانجى - القاهرة-الطبعة: ١٣٨١ هـ.

٤١.المحكم - ابن سيدة -تحقيق:د. عبد الحميد هنداوي -الناشر دار الكتب العلمية - ٢٠٠٠م.

٤٢.المخصص- ابن سيدة - تحقيق : خليل إبراهم جفال- دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٧هـ ١٩٩٦م-الطبعة : الأولى.

٤٣.المذكر والمؤنث -أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن، المعروف بابن الأنباري (المتوفى: ٣٢٨ هـ) -المحقق: محمد عبد الخالق عضيمة -مراجعة: د. رمضان عبد التواب -مصر -وزارة الأوقاف -المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية -لجنة إحياء التراث -سنة النشر: ١٤٠١ هـ -١٩٨١ م.

٤٤.المزهر في علوم اللغة وأنواعها-جلال الدين السيوطي -المحقق: فؤاد علي منصور-الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت-الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٤٥.معاني القرآن -المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ) -المحقق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي -الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر -الطبعة: الأولى.

٤٦.معجم الأدباء - ياقوت الحموي -تحقيق : إحسان عباس - دار الغرب الإسلامي- بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣م.

٤٧.مغني اللبيب عن كتب الأعاريب- ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)- تحقيق: مازن المبارك و محمد علي حمد الله -الناشر: دار الفكر - دمشق -الطبعة: السادسة، ١٩٨٥.

٤٨.المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ «شرح الشواهد الكبرى" -المؤلف: بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (المتوفى ٨٥٥ هـ) -تحقيق: أ. د. علي محمد فاخر، أ. د. أحمد محمد توفيق السوداني، د. عبد العزيز محمد فاخر -الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة -جمهورية مصر العربية - الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ -٢٠١٠ م.

٤٩.المقتضب -محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ) -المحقق: محمد عبد الخالق عضيمة-عالم الكتب. - بيروت.

٥٠.المنتخب من غريب كلام العرب –المؤلف: علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل» (المتوفى: بعد ٣٠٩هـ) –المحقق: د محمد بن أحمد العمري –الناشر: جامعة أم القرى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي) –الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ –١٩٨٩م.

٥١.النوادر في اللغة –أبو زيد الأنصاري –تحقيق د. محمد عبد القادر أحمد –دار الشروق –الطبعة: الأولى–١٤٠١ هـ –١٩٨١ م.

٥٢.نور القبس المختصر من المقتبس–تأليف: أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني – اختصار أبي المحاسن المغموري–تحقيق: رودلف زلهايم – دار النشر:فرانتش شتاينز – فيسبادن–١٩٦٤ م = ١٣٨٤هـ– ضمن منشورات جمعية المستشرقين الألمانية –جزء :٢٣ ،القسم الأول.

٥٣.الوافي بالوفيات –المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) –المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى –الناشر: دار إحياء التراث – بيروت –عام النشر:١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.